أشهر من أفتوا فى عهد الرسول ﷺ

من الأنصـــــار

معاذ بن جبل - زيد بن ثابت - أبى بن كعب

معـــاذ بـــن جبـــــل - رضى الله عنه -

هو رجل من الأنصار بايع الرسول يوم العقبة الثانية.. وكان لا يتخلف عن رسول الله ﷺ فى مشهد ولا فى غزاة.

كان أجل خصائصه فقهه.. فلقد بلغ من الفقه والعلم المدى الذى جعله أهلاً لأن يقول عنه الرسول ﷺ :" أعلم أمتى بالحلال والحرام، معاذ بن جبل، وكان معاذ شبيه عمر ابن الخطاب فى استنارة عقله، وشجاعة ذكائه، وقد سأله الرسول ﷺ حين وجهه لليمن:

"كيف تقضى إذا عرض لك قضاء؟

فأجابه قائلا: "بكتاب الله"...

قال الرسول ﷺ: "فإن لم تجد فى كتاب الله"..؟!

قال معاذ: "أقضى بسنة رسوله"..

قال الرسول ﷺ: "فإن لم تجد فى سنة رسوله"..؟!

قال معاذ: "أجتهد رأيى ولا آلوا".

فتهلل وجه رسول الله وقال: "الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله".

ومن هذا الموقف يتضح لنا أن الرسول ﷺ أباح للمسلمين أن يجتهدوا أو يستعملوا رأيهم إذا عرضت لهم مسألة ولم يجدوا لها جوابا فى الكتاب أو السنة.

ولعل قدرة معاذ ﷺ على الاجتهاد وشجاعته فى استعمال ذكائه وعقله هما اللتان أصقلتا ثراءه الفقهى الذى فاق به أقرانه وإخوانه، وكان دائما يجلس والناس حوله وكان صموتا لايتحدث إلا على شوق الجالسين إلى حديثه.. وإذا اختلف الجالسون فى أمر، أعادوه إليه ليفصل فيه.. فإذا تكلم، كان لما وصفه أحد معاصريه:

"كأنما يخرج من فمه نور ولؤلؤ".

وقد قال أبو مسلم الخولانى:

"دخلت مسجد "حمص" فإذا جماعة من الكهول يتوسطهم شاب براق الثنايـا صامت لا يتكلم.. فإذا توقف القوم فى شىء توجهوا إليه يسألونه.. فقلت لجليس لى: من هذا..؟ قال: معاذ بن جبل.. فوقع فى نفسى حبه".

وكان معاذ ﷺ سمح اليد والنفس والخلق فلا يسأل عن شىء إلا أعطاه جزلان مغتبطا.. ولقد ذهب جوده وسخاؤه بكل ماله.

وحين وانتت المنية الرسول ﷺ كان معاذ باليمن كما وجهه النبى ﷺ ليعلم المسلمين ويفقههم فى الدين.

وفى خلافة أبى بكر عاد من اليمن، وحدث بينه وبين عمر بن الخطاب موقف يدل على عدل عمر وطهارة كف معاذ.

فحين علم عمر بأن معاذا قد أثرى من وجوده باليمن اقترح على الخليفة أبى بكر أن يشاطره ثروته وماله..!! ولم ينتظر عمر بل هب مسرعا لدار معاذ وعرض عليه الأمر الذى رفضه.. وتركه عمر وانصرف.

وفى الغداة، كان معاذ يطوى الأرض حثيثا شطر عمر..

ولا يكاد يلقاه.. حتى عانقه ودموعه تسبق كلماته وقال له: "رأيت الليلة فى منامى أنى أخوض حومة ماء، أخشى على نفسى الغرق، حتى جئت فخلصتنى يا عمر".

وذهبا معا لأبى بكر الذى رفض عرضهما.. وحينها نظر عمر لمعاذ وقـال له: "الآن، حل وطاب".

وبالطبع ما كان أبو بكر ليترك درهما لو علم أن معاذا أخذه بغير حق..

وفى خلافة عمر ﷺ استخلفه على الشام بعد وفاة أميرها أبو عبيدة ولم يمض فى الإمارة سوى بضعة أشهر حتى لقى ربه وكـان لا يجـاوز الثلاثـة وثلاثين عاما.

وكان عمر ﷺ يقول: "لو استخلفت معاذ بن جبل، فسألنى ربى: لماذا استخلفته؟ لقلت: سمعت نبيك يقول: "إن العلماء إذا حضروا ربهم عـز وجـل، كـان معـاذ بين أيديهم"..

وهو من قال فيه عمر ﷺ وكان كثير الاستشارة له ويستعين برأيه وفقهه:
"لولا معاذ بن جبل لهلك عمر".
رحم الله معاذا دائب الدعوة للعلم وإلى ذكر الله وكان دوما يقول:
"تعلموا ماشئتم أن تتعلموا، فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا".

* * *

زيد بن ثابت - رضى الله عنه -

هو زيد بن ثابت بن الضحاك النجارى الأنصارى أسلم وهو صبى صغير، فقد كان حين هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة يبلغ حوالى إحدى عشرة سنة وبورك بدعوة من الرسول له.

ورده الرسول لصغر سنه حينما صحبه آباؤه معهم لغزوة بدر وأيضاً فى أحد رغم أنه هو وبعض الفرسان الصغار بذلوا ما فى جهدهم وتضرعوا له بالرجاء تارة وبالدفع تارة، وأيضاً باستعراض عضلاتهم، ولكنه وعدهم بإشراكهم فى الغزوة المقبلة لصغر سنهم.

وهكذا بدأ زيد مع إخوانه دوره كمقاتل فى سبيل الله بدءاً من غزوة الخندق سنة خمس من الهجرة.. فكانت الخندق أول مشاهده.

وفى يوم تبوك كانت راية بنى مالك بن النجار مع عمارة بن حزم، فأخذها رسول الله ﷺ ودفعها لزيد فقال عمارة يا رسول الله! أبلغك عنى شىء؟ قال لا ولكن القرآن مقدم وزيد أكثر أخذاً للقرآن منك، وكان زيد يكتب لرسول الله ﷺ الوحى وغيره، وكانت ترد كتب بالسيريانية فأمر الرسول ﷺ زيداً فتعلمها.

وحين بدأ الرسول فى إبلاغ دعوته للعالم الخارجى كله.. وإرسال كتبه لملوك الأرض وقياصرتها أمر زيداً أيضاً أن يتعلم بعض لغاتهم فكان يتعلمها فى وقت وجيز.. ثم كتب زيد فيما بعد لأبى بكر وعمر، واستخلفه عمر على المدينة ثلاث مرات وكان عثمان يستخلفه أيضاً إذا حج.. روى عنه الحديث كثير من الصحابة والتابعين.

وكان زيد أعلم الصحابة بالفرائض حتى إن رسول الله ﷺ قال عنه:" أفرضكم زيد".. وكان من أعلم الصحابة والراسخين فى العلم وكان من أفكه الناس إذا خلا مع أهله.. يقول الشعبى:

"ذهب زيد بن ثابت ليركب، فأمسك ابن عباس بالركاب. فقال له زيد: تنح يا ابن عم رسول الله.. فأجابه ابن عباس: لا، فهكذا نصنع بعلمائنا"..

وكان لزيد بن ثابت دور كبير فى كتابة الوحى وجمع القرآن .. ففى خلال

إحدى وعشرين سنة تقريبا، نزل القرآن وكان الحفظة والمسجلون يوالون عملهم فى توفيق من الله كبيراً.. وفى الفترة الأخيرة كان الرسول ﷺ يقرؤه على المسلمين مرتبا.. وبعد وفاته ﷺ شغل المسلمون من فورهم بحروب الردة.. وما كادت نار الردة تخبو حتى فزع عمر إلى الخليفة "أبو بكر الصديق" ﷺ ملحا أن يسارعوا فى جمع القرآن وخاصة أن عدداً كبيراً من الشهداء من قراء القرآن وحفظته كانوا قد استشهدوا.

فدعا الخليفة زيداً وأمره أن يبدأ بجمع القرآن الكريم مستعينا بذوى الخبرة فى هذا الموضوع.

فجمع "زيد" أصحابه وأعوانه ومضى يجمع الآيات والسور من صدور الحفاظ ومن مواطنها المكتوبة ويقابل ويعارض ويتحرى، حتى جمع القرآن مرتبا ومنسقاً.

وقد قال زيد وهو يصور الصعوبة الكبرى التى شكلتها قداسة المهمة وجلالها: "والله لو كلفونى نقل جبل من مكانه، لكان أهون علىَّ مما أمرونى به من جمع القرآن".. ونجح فى مهمته وكانت هذه هى المرحلة الأولى فى جمع القرآن.. ولكنه كتب فى أكثر من مصحف.

وفى خلافة "عثمان" ﷺ طالب بعض الصحابة بتوحيده واستنجد "عثمان" ﷺ بزيد أيضاً لهذه المهمة والذى أتمها زيد وأصحابه على خير وجه.

وكان زيد من أشهر المفتين حتى أنه كان يختلف فى بعض القضايا الفقهية مع عمر وعلىّ – رضى الله عنهما- وكان المسلمون يستشيرونه كثيراً نظراً لعلمه الغزير وتفقهه وإلمامه بما نزل به الوحى.

رحم الله زيداً فقد كانت كلمته بين أعوانه هى الفيصل والحجة.. ويكفى أنه بين الأجلاء الذين جاهدوا ليقروا فوق الأرض دينا قيما وليبددوا الظلام بنوره.

* * *

أبـى بـن كعـب - رضى الله عنه -

هو أنصارى من الخزرج.. شهد العقبة وبدراً وبقية المشاهد.. بلغ فى المسلمين الأوائل منزلة رفيعة ومكانا عاليا، حتى لقد قال عنه أمير المؤمنين عمر - رضى الله عنهما-: "أبى، سيد المسلمين".. فهو كان فى مقدمة الذين يكتبون الوحى، ويكتبون الرسائل، وكان فى حفظه القرآن الكريم، وترتيله إياه، وفهمه آياته، من المتفوقين.. حتى لقد قال له رسول الله ﷺ يوما: "يا أبى بن كعب.. إنى أمرت أن أعرض عليك القرآن".

وأبى يعلم أن الرسول ﷺ إنما يتلقى الأوامر من الوحى..

هنالك سأل رسول الله ﷺ فى نشوة غامرة:

"يا رسول الله - بأبى أنت وأمى- وهل ذُكرتُ لك باسمى"..؟؟

فأجاب الرسول: "نعم.. باسمك، ونسبك فى الملإ الأعلى"!! وطوال سنوات الصحبة وأبى بن كعب قريب من رسول الله ﷺ ينهل من مَعِينه العذب المعطاء..

وبعد وفاة الرسول ﷺ ظل أبى على عهده الوثيق فى عبادته وفى قوة دينه وخلقه، وكان دوما نذيراً فى قومه يذكرهم بأيام الرسول ﷺ وما كانوا عليه من عهد وسلوك وزهد.

ولقد ظل متمسكا بالتقوى، معتصما بالزهد، فلم تستطع الدنيا أن تفتنه أو تخدعه ذلك أنه يرى حقيقتها فى نهايتها.

وكان "أبى" إذا تحدث للناس استشرفته الأعناق والأسماع فى شوق وإصغاء.

ذلك أنه من الذين لم يخافوا فى الله أحداً.. ولم يطلبوا من الدنيا غرضا.

رحم الله "أبى" الذى على كثرة ورعه وتقاه، يبكى كلما ذكر الله واليوم الآخر، وكانت آيات القرآن الكريم وهو يرتلها أو يسمعها تهز كيانه وخاصة بعض الآيات مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾[الأنعام:٦٥].

* * *